التغزل بالرجل عند شاعرات الأندلس

Extolling Man from the view of Female Andalusi Poets

Dr. Syed Yasir Ali

Lecturer Arabic Department
National University of Modern Languages – Islamabad
E-mail: syali@numl.edu.pk

Abstract

The woman's personality is delicate and filled with passion, love, selfishness, and possession. She performs different rules in her life. She is a mother, sister, beloved and a wife. She is the source of happiness for the man and her influence is not limited to a certain era, time, or place. She is the main source of man's poetry. The same way we see that man's personality is also main and important source in woman's poetry. The influence of her poetry is evident as she attempts saying all sorts of poetry like man. She writes love poetry the same way as men poets write their love poetry. We find her admiring and showing her proudness in her poetry. She does not use harsh and bad words in her poetry. This sign is widely found in Andulsi literature especially in the poetry of Andalusian women poets. Andalusian woman poet is very daring and enjoys lot of freedom in her poetry. She proved herself that she is capable of creating some wonderful literature. This study is about image of man in Andalusian women' poetry. Main purpose behind this study is to show various aspects of this poetry.

Keywords: *Woman's personality, Her influence, Andalusian literature, Poetry, Extrolling.*

الملخص:

المرأة هي ذلك الكائن الرقيق الممتلئ عاطفة وحباً وأنانية وتملكاً، ولها أدوار متعددة في الأســـرة والمجتمع، فهي: الأم والأخت والحبيبة والزوجة، إنها مصدر السعادة للرجل، إذ لم يقتصر تأثيرها في عصر من العصور أو في زمان أو مكان بعينه، فهي ملهمة الرجل والعنصـــر الفاعل من عناصـــر شـــاعريته: وإذا كانت هذه مكانتها في نفس الشـاعر، فما هي مكانة الرجل في نفوس شـاعرات الأندلس؟ وللإجابة عن هذا السـؤال نقول: إن أثره واضح في أشعارهن، فقد طرقت صورته أغراضهن الشعرية، إذ كانت الشاعرة الأندلسية تتغزل به كما يتغزل الرجل بامرأة، وكانت تمدحه وتفخر به في ظل أنوثتها، وكذلك تهجوه ولا تتورع من ترديد الألفاظ البذيئة بحقه، إذ إن دراسـة شـعر الشـاعرات الأندلسـيات تفصـح عن أن المرأة الأندلسـية تمتعتْ بالكثير من الحرية والجرأة، فسجّلتْ بحق الرجل أشعاراً رقيقة في: الشكوى والرثاء والحنين والتهنئة وفي العتاب

والاعتذار والحكمة والشعر القصصي، جامعة في شعرها بين فصيح المنثور ورقيق المنظوم[1]، وبذا لازمت الشاعرة الأندلسية الوقوف بجانب الرجل تستندي القريحة لتهجس بالشعر، فهمست به همسات رائعة لاذّة، أثبتت فيها قدرتها على الخلق الجميل، والإبداع الحي الخالد[2]، ومن أغراضها الشعرية التي خصت بها الرجل الغزل.

تعريف الغزل:

(التغزل أو النسيب من أقدم الفنون الشعرية عند العرب، وأكثرها شيوعاً؛ لاتصالها الوثيق بالطبيعة الإنسانية، فالحب أو محاولة الحب لغةٌ عالميةٌ، وميلٌ فطريٌ في كل بيئة)[3]، فقد (انكفأ شعراء هذا الاتجاه في كثيرٍ مما أبدعوا على أن ينهلوا مادة شعرهم من تجاربهم الوجدانية الخاصة ومن معاناتهم الشخصية والعاطفية في الحياة الأندلسية، فالشاعر المتغزل إنما يعبر عن ذاته)[4]، بـ(لغة الوجدان والعواطف، تلك اللغة التي يعبر بها شاعر الغزل عن مكنون مشاعره وأحاسيسه الدفينة)[5]، ولما كان (للحب حكماً على النفوس ماضياً، وسلطاناً قاضياً، وطاعةً لا تصرف، ونفاذاً لا يردّ) [6]؛ عُدَّ (الغزل أكثر فنون الشعر التي طرقها الشعراء الأندلسيون، فما من شاعر إلا وقد أَدلى بدلوه فيها)[7]، ولما كانت الشاعرة العربية في الأندلس قد جربت العشق واحترقت بناره، وعانت لوعة الصدّ وأَلم الفراق؛ أَثبتت أيضاً براعتها في التعبير عن تجاربها العاطفية الصادقة، إذ أنها قد تغزلت فيمن أحبت من الرجال كتغزل الرجل فيمن أَحب من النساء، متجاوزة بذلك ما هو متعارفٌ عليه في المجتمع المشرقي، فالرجل هو المبادر في إبداء عواطفه، و(لا تستطيع المرأة أن تحاول شيئاً؛ خشية سوء تفسير الرجل لحركتها، وما يصدر عن الرجل من تَحَبُّبٍ طائش فيبدو لها أمراً طبيعياً، على حين يظهر ذلك الطيش أَليماً إذا ما صدر عنها)[8] ، ذلك أن (الحياء في المرأة من صفات الأنوثة، وتعبر عنه بأساليب كثيرة تحببها في عين الرجل فيزداد تعلقاً بها)[9]، ومن الملاحظ أن الشاعرة الأندلسية قد نوّعت النظم في هذا الغرض متناولة فيه: الغزل العفيف، والغزل الصريح (المكشوف).

الغزل العفيف:

هو ذلك الغزل الذي (يبتعد أصحابه عن التعابير المكشوفة، والألفاظ الفاضحة، والصراحة المخجلة، ليحلوا محلها حصيلة ما اعتور نفوسهم من حبٍ صادقٍ عفيفٍ عاشوا له وقضى بعضهم دونه أو كاد)[10]، ومدار هذا الغزل (شعور الحب نفسه، وتأثيره في نفس المحب، ومدى ارتباطه به، واندماجه معه)[11]، فهو لا يعني التقديس الخالص، أو التبجيل الطاهر للحبيب الذي يرتفع إلى مستوى الحب العذري، بل هو ترفعٌ عن

الابتذال في القول، وتسامٍ عن الإسفاف في المعاني المبتذلة، والإغراق في المحسوسات المادية[12]، و(ليس معنى هذا أنه حبٌ يلغي الجسد إلغاءً تاماً، فإن هذا لا يتفق مع طبيعة الحياة، ولا يستقيم مع واقع الصلة بين العواطف والغرائز في الطبيعة البشرية)[13]، وقد عبرت الشاعرة في هذا اللون من الغزل عن تجاربها الوجدانية المشحونة بالعواطف والأحاسيس الرقيقة، المليئة بمعاني العفة والشرف، المتنزهة عن المعاني الحسية التي تثيرها الغرائز المكبوتة.

ومن ذلك **الشاعرة الجارية العجفاء** التي تزجّ بها مواهبها الأدبية الخلابة إلى مخاطبة كل من أبي السائب والأرقمي بضمائر مؤنثة[14]، إذ تقول: (من الكامل)

بِيَد الّذي شغفَ الفؤادَ بِكُم ... تفريجُ ما أَلقى مِنَ الهمِّ
فاستيقني أَنْ قَدْ كَلِفْتُ بِكُم ... ثم افعلي مَاشِئتِ عَنْ علمِ
قَدْ كان صَرْمٌ في المماتِ لنا ... فعجلتُ قبلَ الموتِ بالصرمِ[15]

ولم تتوقف **الشاعرة الجارية العجفاء** عند هذا الحد، وإنما وجدناها تتغزل غزلاً مهتاجاً، يخاطب العاطفة ويهز الوجدان، محاولة منها في إيقاظ مشاعر كل من أبي السائب والأرقمي ومن ثم إشباع ما كانت تعانيه من الحرمان[16]، بقولها: (من الكامل)

يا ليتَ أَنكَ يا حسامُ بأَرضِنَا ... تُلقِي المراسيَ طائعاً وتُخَيِّمُ
فتذوق لذّة عيشِنا ونعِيمه ... ونكونَ إِخواناً، فماذا تَنْقُمُ[17]

وتتغزل **الشاعرة أم العلاء الحجارية** (متحدثةً عن الحبيب الذي به يمسي الزمن جميلا رقيقاً، وبدونه لا يكون للحياة طعمٌ)[18]، مضمّنةً غزلها معاني غاية في العفة والاتزان، فهي تقول: (من الرمل)

كلُّ ما يَصْدُر عَنْكمْ حَسَن ... وبعلياكم يُحَلَّى الزَّمنُ
تَعْطِفُ العَيْنُ على مَنْظَرِكُمْ ... وبِذكْراكُمْ تَلَذُّ الأُذُنُ
مَنْ يَعِشْ دونكمُ في عمرِهِ ... فَهْوَ في نَيْلِ الأَمانِي يُغْبَنُ[19]

و(لعل قلوب "الأميرات" أقل تحملاً وأرقّ رهافةً من قلوب بنات الشعب)[20]، لذا يتعجّبن مما يغيّر الحب فيهن من هدوءٍ نفسيٍ واتزانٍ عاطفيٍ، فيضطربن عندما تخفق قلوبهن بالحب.

ومن ذلك تعجب **أم الكرام بنت صـــمادح أميرة المرّية** من حبّها لفتىً من فتيان قصـــر أبيها المشـــهور بـــ"السمار"، فلم تعد تسيطر جرّاء ذلك الحب على قلبها الذي يفرُّ منها تابعاً ظل الحبيب، إذ تقول: (من السريع)

يا مَـعْشَـــرَ الـنَّـاسِ أَلا فـاعـجـبـوا ... مِمَّـــا جَـنَـتـــهُ لَـوْعَـــةُ الحُـــبِّ

لـــولاه لَمْ يَـنْـزِلْ بـبـدرِ الـدُّجـى ... مِـنْ أُفـقـهِ الـعُـلْـويِّ لـلـتُّـرْبِ

حَسْـــــبي بِمَـــنْ أَهـــواه لَـــوْ أَنَّـــهُ ... فَـــارَقَـــني تَابَـعَـــهُ قَـــلْـــبِي(21)

أما الشـاعرة **حفصـة بنت الحاج الركونية** فقد وجدت في مظاهر الطبيعة ما يحسـدها، ويقوم بدور العاذل أيضاً، فنغّص عليها ذلك الشعور النابع من الغيرة وخوف الحسد لحظاتِ لقائها بمن تحبّ، فهي تقول: (من الطويل)

لَـعَـمْـرُكَ مـا سُـــرَّ الـرياضُ بِـوَصْـــلِـنَـا ... ولـكـنـهُ أَبْـدَى لـنـا الـغُـلَّ والحَسَـــدْ

فـلا تُحْسِـــنِ الـظَّـنَّ الِّـذي أَنْـتَ أَهْـلُـهُ ... فـمـا هُـوَ فِي كـلِّ المـواطـنِ بالـرَّشَـــدْ

فـمـا خِـلْـتُ هـذا الأُفْـقَ أَبْـدَى نُجُـومَـهُ ... لأمرٍ سِـــوَى كيْمَـا يكونَ لنَـا رَصَـــدْ(22)

وترسل **الشاعرة حفصة الركونية** تحية شعرية إلى محبوبها أبي جعفر (الذي نزح عنها مرسلةً إليه سلاماً محمّلاً بعبير الحب، تنطق بحرارته شحارير الغصون، فتنطلق تسجع بعذوبةٍ حاكيةٍ قصة الحبيب، الذي هو راقدٌ في أطواء نفسها رغم البعاد)(23)، بقولها: (من المتقارب)

سلامٌ يُفتّحُ في زَهْره الـــــــــــــــــــــــــ ... كِـمَـامَ ويُـنْـطِـقُ وُرْقَ الـغُصُـــونْ

عـلـى نازحٍ قَـدْ ثَـوَى في الحَشَـــا ... وإن كـانَ تُحْـرَمُ مِـنْـهُ الجُـفُـونْ

فـلا تَحْسَـــبُـوا الـبُـعْـدَ يُـنسـيـكُـمُ ... فـذلِـكَ والله مَـا لا يَـكُـونْ(24)

وتغار **الشـاعرة حفصـة الركونية** على محبوبها أبي جعفر الذي (استأثر بقلبها، فلم يدعْ فيه مكاناً لسواه، حتى لتنشده ملتاعةً بحبه ناعمةً به سعيدةً، غير منكرةٍ غيرتها عليه، فهي تغار عليه غيرةً لا تماثلها غيرةٌ، حتى لتغار منه هو ومن كلّ ما يحيط به من زمانٍ ومكانٍ، وتقول لو أنها خطفته ووضـعته وراء جفونها في عيونها إلى يوم القيامة ما كفاها)(25)، إذ تقول: (من الوافر)

أغـارُ عـلـيـكَ مِـنْ عَـيـنـي رَقِـيـبِي ... ومِـنْـكَ ومِـنْ زمَـانَـكَ والمـكـانِ

ولَــوْ أَنِّي خــبــأتُــكَ في عُــيُــونِي إلى يَـوْمِ الـقـيـامـةِ مـا كَـفَـانِي[26]

وتظهر **حفصـة بنت حمدون الحجارية** شـخصـيتها –في مقام الغزل– بوصـفها امرأة، وتبدي الدلال والتيه على من يدل عليها أو يتيه، مستمسكة بكبرياء المرأة ذات الجمال[27]، إذ تقول: (من الخفيف)

لي حـبـيـبٌ لا يَـنْـثَـنِي لـعِـتَـابٍ وإذا مـا تـركْـتُـهُ زادَ تِـيـهـا

قـال لِي: هَـلْ رأَيْـتِ لِي مِـنْ شـبـيـهٍ قلـتُ أَيْضـاً وَهَـلْ تَرى لِي شـبيها[28]

(إنها معادلةٌ طريفةٌ في دنيا الحب بين حبيبين متأبٍّ كلاهما على الآخر، فأبت حفصـة أن تنزل له عن كبريائها، فكانت هذه "المخالصة" الأولى من نوعها تصدر شعراً من قريحة شاعرةٍ محبةٍ)[29].

و**حمدة بنت زياد المؤدب** (جعلت لقلبها الذي كان يخفق – لا شـك – نصـيباً من شـعرها، فقالت أبياتاً غزلية)[30]، بحق محبوبها مصورةً أناتها التي جاءت نتيجة الفراق والبعد، واللذَين تسبّب فيهما الوشاة من غير ذنبٍ اقترفته أو ثأرٍ لها عندهم[31]، إذ تقول: (من الطويل)

ولَـمَّـا أَبى الـواشـون إلا فِـرَاقَـنـا ومـا لَهُـمُ عـنـدي وعِـنْـدَكَ مِـن ثَارِ

وشـنُّـوا عـلـى أَسْمَـاعِـنَـا كُـلَّ غـارةٍ وقَـلَّ حُمَـاتِي عِـنْـدَ ذاكَ وأَنصـاري

غَـزَوْتَـهُـمُ مِـنْ مُـقـلـتـيـك وأَدْمُـعِـي ومن نَفَسِـي بالسَّـيفِ والسَّـيل والنَّار[32]

ومن المعشـوقين من يندفع بجرأته إلى مصـارحة معشـوقه، والطلب إليه إظهار هواه؛ لأن حالاته قد كشـفت عن مدى معاناته في الهوى.

من ذلك **الشاعرة منفعة** تتغزل بين يدي الأمير عبد الرحمن بن الحكم، مطالبةً إياه الإفصاح عن هواه؛ لأن حالاته قد كشـفت معاناته جراء ذلك الحب، مصـرحةً أن قلبها لم يعد طوع أمرها مذ أَحبت ذلك الأمير، فهي تقول: (من المجتث)

يا مَـنْ يُـغَـطِّـي هَـوَاه مَـنْ ذا يُـغَـطِّـي الـنَّـهـارا

قَـدْ كُـنْـتُ أَمْـلِـكُ قَـلـبِي حـتى عـلـقْـتُ فَـطَـارا

يا ويـلـتـا أتَـرَاهُ لي كـان أو مُسْـتَـعَـارا

يَا بأَبِي قُـرَشِـيٌّ خَـلـعْـتُ فـيـهِ الـعِـذَارَا[33]

وتقدم **الشـاعرة أمة العزيز** معادلةً طريفةً في دنيا الصـدود، فاضـت معانيها رقةً وعذوبةً، وكأنها تتمنى كما يتمنى العشاق دائماً أن يكون معشوقها لها فقط، وعدَّت انشغاله عنها صدوداً، بقولها: (من السريع)

لِحَاظُكُم تَجْرَحُنا في الحشَا ولَحْظُنَا يَجْرحُكُمْ في الخُدودْ
جُرْحٌ بِجُرحٍ فاجعلوا ذَا بِذَا فَمَاْ الِّذي أَوجَبَ جرحَ الصدودْ[34]

وتنشد **الشاعرة أم الهناء** أبياتاً غزليةً عفةً رقيقةً، بعيدةً عن هجر القول وفحشه، وإنما تحمل في حواشيها حياء العذارى وبراءة الغرائر[35]، إذ تقول: (من الكامل)

جَاءَ الكتابُ مِنَ الحبيبِ بأَنه سَيزُروني فاستعبرت أَجفانِي
يا عينُ صارَ الدَّمْعُ عندَكِ عادةً تَبْكينَ في فَرحٍ وَفِي أَحزانِ
تَبْكينَ في فَرحٍ وَفِي أَحزانِ وَدَعِي الدمُوعَ لِلَيْلَة الهجْرانِ[36]

وسلكت بعض شاعرات الأندلس في غزلهن بمن يحببن مسلك الوشّاحين، فنظمت الشاعرات الموشّحات وحملنها مشاعرهن وأحاسيسهن، ومنهن **الشاعرة نزهون الغرناطية** التي نسجت على منوال الوشّاحين مشاعر المحبِّ الذي أسره جمال محبوبه، وأضناه بعده عنه فأنتجت موشحةً اختارت لها الكلمات الموحية ذات الجرس الموسيقيّ العذب والمعاني التي يحسُّ بها المحبون، والوزن الذي تتراصّ له النفوس وتلتذّ الأسماع، لذا لا يُستبعد أن تكون هذه الموشّحة قد تغنّى بها القوم في مجالس أنسهم، فهي تقول:

بأَبي مَنْ هدَّ من جسْمِي الضُوَي طَرفُهُ الأَحْوَرْ
وَسقَانِي ما سقَى يومَ النوَى ويحَ من غَرَّرْ
كلما رِمْتُ خضوعاً في الهوَى تاهَ واستكبرْ
يا لهُ من شادنٍ صيرِني رهنَ أشجانِي
لَمْ يدعْ في الحورِ مِنْهُ عِوَضَا عندَ رضوانِ

لم تَزَلْ تُظْهِرْ فيه الكَلَفَا عِنْدَما غَنَّت
غَادَةٌ لو رَامَ مِنْها النَّصَفَا غيرَةً ضَنَّتْ
فَهْوَ يَهْواها ويُبْدي الصَّلَفَا فَلِذَا غَنَّتْ
يَتَمنَّانِي إذا لَمْ يَرَنِي يَتَمَنَّأْنِي
فإِذَا رَآنِي تَولّى مُعْرِضاً كُنْ ما رآني(37)

وللشاعرة ولّادة بنت المستكفي (قصة في الحب معروفة أذاقها الفراق بسهمه المر المذاق، فنظمت شعراً تتشوق فيه إلى أيام التلاقي، مشبهة حرارة شوقها للحظات الوصل بالحجر المحرق الذي ينسيها برد الشتاء، ثم تدعو –كما هي عادة العرب– للأرض التي يسكنها حبيبها بالارتواء من ماء السماء)[38]، فتقول: (من الطويل)

أَلا هَلْ لَنَا مِنْ بَعْدِ هَذَا التَّفَرُّقِ ... سبيلٌ فيَشْكُو كلُّ صَبٍّ بِمَا لقِي
وقَدْ كُنْتُ أَوقَاتَ التَزاورِ في الشِّتا ... أبيتُ على جَمْرٍ مِنَ الشَّوقِ مُحْرِقِ
سَقى اللهُ أَرضاً قَدْ غَدَتْ لكَ منزِلاً ... بِكلِّ سكوبٍ هَاْطِلِ الوَبْلِ مُغْدِقِ[39]

وتوظف الأميرة العربية **الشاعرة ولّادة** موهبتها الشعرية فترسم لوحة رائعة تبين فيها معاناة البعد عن ابن زيدون، نلحظ فيها رقة الأنثى، وفن الأديب، وصدق التجربة، إذ وظفت في شعرها معاني إنسانية لاتختص بإنسان دون آخر، وإنما يحس بها كل من قرع سنه كأس الفراق عن الحبيب، فهي تقول: (من الرمل)

وَدَّعَ الصَّبْرَ مُحِبٌّ ودَّعَكْ ... ذائِعٌ مِنْ سرِهِ ما استودعَكْ
يَقْرَعُ السِّنَّ على أَنْ لَمْ يكُنْ ... زادَ في تلك الخُطَى إذ شَيَّعَكْ
يا أخَا البَدْرِ سَناءً وسَناً ... حَفِظَ اللهُ زَماناً أَطْلَعَكْ
إِنْ يَطُلْ بَعْدَكَ لَيْلِي فَلَكَمْ ... بِتُّ أشْكُو قِصَرَ الليلِ مَعَكْ[40]

الغزل الصريح (المكشوف):

هو ذلك الغزل الذي يعبر فيه الشاعر (عن لذة عابرة وشهوة طارئة، لا تصل إلى طوايا النفس، ولا تثبت على حال)[41]، فالشاعر في هذا التغزل (يصف ما كان بينه وبينها، أو ما يود أن يكون بينهما من صلة حسية، ويكون محور شعره في الغالب، تلك الرغبة الجنسية العارمة التي تتأرجح في كيانه)[42]، وتقتصر مضامين هذا اللون من الغزل (على وصف محاسن المحبوب الخَلْقية، وهو برمته لا يتعدى حدود التشبيهات التي لم تدع جزءاً من أجزاء جسد الحبيب إلا وصفته وتغزلت به)[43]، وقد سيطرت على شعراء الأندلس سمة عامة، هي السمة المادية التي شاعت بين شعراء الغزل الحسي، والتي لا يتميزون فيها من شعراء المشارقة، إلا في عذوبة اللفظ، وطرافة الصورة، وحسن التعليل[44]، إلا أنهم لا يتفقون جميعاً في طريقة عرضهم لذلك الجمال المادي، لأن كل واحد منهم (إنما يعرض أثره فيه، وهم يحسون دائماً أن ألفاظهم لاتستطيع القيام بتصوير الجمال، ولذلك يعمدون إلى التشبيه والاستعارة والإثارة بطرائق مختلفة)[45] ومن

الملاحظ أن المرأة الشاعرة في الأندلس قد أفصحت في هذا اللون من الغزل عن حبها وعشقها لمن أحبت دون أي خوف أو خجل[46]، ساعدها على ذلك طبيعة الأندلس الخلابة، ومجالس الأنس واللهو التي كانت حاضرة فيها، فضلاً عن المجتمع الأندلسي ذي العلاقات المنفتحة[47]، لذا جاء غزل الشاعرة الأندلسية ناطقاً سافراً، مثل: غزل **الأميرة الشاعرة أم الكرام بنت صمادح** الذي أحسبه جديداً على الأدب النسوي في المشرق، إذ صرحت فيه باشتهاء الخلوة بمن أحبت متمنية (لو وجدت لحظة تخلو به بعيدة عن أعين الرقباء، وهي تتعجب كيف تشتاق إليه، وتتحرق توقاً للقائه، وحبه راقد في أعماقها وأحشائها)[48]، تقول: (من الطويل)

أَلاَ لَيْتَ شِعْري هَلْ سبيلٌ لِخَلْوةٍ ... يُنزَّهُ عَنْها سَمْعُ كُلِّ مُرَاقبِ

ويَا عَجَبَاً أَشْتَاقُ خَلْوَةَ مَنْ غَدَا ... وَمَثْوَاهُ ما بَيْنَ الحشَاْ والتَّرائِبِ[49]

وتضمن **الشاعرة أنس القلب** أبياتها الغزلية في الوزير أبي المغيرة، الذي نزل ضيفاً عند سيدها المنصور بن أبي عامر معاني من الأحاسيس الإنسانية، يشعر بها كل من يحب، إلا أنها قد بلغت في تصريحها بما ترغب فيه حداً، لم تعتد عليه المرأة العربية في المشرق، إذ تقول: (من الخفيف)

قَدِمَ الليلُ عندَ سَيْرِ النَّهارِ ... وبَدَا البَدرُ مِثْلَ نِصْفِ السوَّارِ

نَظَرِي قَدْ جنى عليَّ ذنوباً ... كيفَ مما جَنَتْهُ عيني اعتذاري؟

يا لقومي تعجبوا مِنْ غزالٍ ... جَائرٍ في محبَّتي وهو جَاري

ليْتَ لَوْ كانَ لِي إليهِ سبيلٌ ... فأُقضِّى من الهوى أَوْطَارِي[50]

وتجيء **الشاعرة حفصة بنت الحاج الركونية** بـ(طرفة جديدة في الغزل، وسلوك محدث في تصرف امرأة، فقد جعلت الشاعرة من نفسها عاشقة لا معشوقة، ومتلهفة لا متلهفاً إليها)[51]، لتثير في أبي جعفر (شوقاً ولهفة بما تقدمه من ألوان الإغراء، وأسباب الإثارة)[52]، بقولها: (من الوافر)

أَزورك أَمْ تزورُ فإنَّ قَلْبِي ... إلى ما تَشْتَهِي أَبداً يَمِيلُ

وقد أمّلْتَ أَنْ تَظْمأ وتَضحى ... إذا وَافَى إليَّ بِكَ القَبُولُ

فَثَغْرِي مَوْرِدٌ عَذبٌ زُلالٌ ... وَفَرْعُ ذَؤابَتِي ظِلٌّ ظَلِيل

فَعَجِّل بالجوابِ فما جميلٌ ... إباؤك عن "بثينةَ" يا "جميلُ"[53]

وكانت الشاعرة العربية في المشرق تخفي عواطفها بسبب القيود الاجتماعية، وبسبب روح البداوة التي تحررت منها شاعرات الأندلس، فصرن بمشاعرهن يصرّحن بمعانٍ، في حين كانت شاعرات المشرق يأبين التصريح بمثلها، من ذلك **الشاعرة الجارية عتبة**، فبمقدرتها الأدبية وخيالها المتسع، استطاعت أن تطوع الألفاظ العربية للتعبير عن معنى متهتك بألفاظ لاتهتك فيها، بقولها: (من الطويل)

أَحبتنا إِنّي بَلَغْتُ مُؤَمَّلي وسَاعَدنِي دَهْري وواصلني حُبِّي
وجاءَ يُهَنِيني البشِيرُ بِقُرْبِهِ فأَعطيته نَفْسي وزِدْتُ له قَلْبِي[54]

وتعبر **الشاعرة حفصة الركونية** عما قد نما بينها وبين أبي جعفر، من عشق شديد ووله عنيف لج بهما صبابة محرقة، تجاوزت بها عرف العصر وتقاليده، وتمردت على مقاييسه، مسجلة بريشتها ما كان قد تحقق بينها وبين معشوقها من خلوات وزورات، ذاقا فيها عذب اللمى، وتهامساً بأرق كلمات الحب والهيام[55]، إذ تقول: (من الطويل)

ثَنَائِي على تِلْكَ الثَّنايا لأَنَّني أَقولُ على عِلْمٍ وأَنْطِقُ عَنْ خُبْرِ
وأُنْصِفُهَا لا أَكْذِبُ الله إنَّني رَشَفْتُ بها رِيقاً أَرقَّ مِنَ الخَمْرِ[56]

والشاعرة نزهون الغرناطية (لم تترك الفرصة تمرُّ، دون أن تسجل لنا لقاءً جميلاً، في ليلة من ليالي الأحد مع حبيبها، بعيدين عن أعين الرقباء، حيث الجو الناعم واللحظة المجنحة والإحساس المدغدغ)[57] تقول: (من البسيط)

للهِ دَرُّ اللَّيالِي ما أُحَيْسِنَها وما أُحيسِنَ مِنها لَيْلَة الأَحَدِ
لَوْ كُنْتَ حَاضِرَنا وقَدْ غَفَلَتْ عَينُ الرقيب فَلَمْ تَنْظُرْ إلى أَحَد
أَبْصَرْتَ شَمْسَ الضُّحَى في ساعِدَي قمر بَلْ رِيمَ خازِمَةٍ في سَاعِدَي أَسَدِ[58]

فالشاعرة مهما بلغت في حبها، لا يمكن أن تبتعد عن حاجتها الجسدية والنفسية، فالحب ليس خالص الروحانية، إذ لا يخلو الحب بين الرجل والمرأة من شوائب جسدية وشوق إلى المتعة[59].

وقديماً اختار العشاق الظلام لزيارة معشوقيهم لئلا تقع عليهم أنظار العاذلين، والمجتمع العربي لا يقر رجلاً يزور امرأة لم يرتبط بها ارتباطاً شرعياً، ويأبى على الرجال زيارة النساء، إلا أن **الشاعرة ولّادة بنت المستكفي** تتحدى المجتمع، فتعد الوزير بزيارة ليلية، وماذا يعني ذلك؟! (إنهما سيلتقيان ليبث كل لصاحبه

هواه واختلاجاته، ويتركان روحيهما تتناغيان في عالم الأحلام، لا تدنسها رغبة أو نزوة ؟)[60]، بقولها: (من الطويل)

تَــرَقَّــبْ إذا جَــنَّ الــظَّــلامُ زِيَارَتِي فـإِنِي رأَيـتُ الـلـيـلَ أَكـتَـمَ لـلسِّـــرِّ

وبِي مِنْـكَ مَـاْ لَوْ كـانَ بالشَـــمْسِ لَمْ تَلُحْ وبالبـدرِ لَمْ يَطْلَعْ وبالليـلِ لَمْ يَسْـــرِ[61]

نتائج البحث:

وفي ضوء ما تقدم يمكننا القول أن الشاعرة الأندلسية قد تغزلت بالرجل الأندلسي دون أي تستر أو مواربة، وهذا يدل على (انفتاح شخصية الشاعرة الأندلسية على آفاق جريئة في الغزل)[62]، الذي عبرت فيه عن العذاب الذي تلقاه وعلى ما تعانيه، واصفة حالها وقد أصبحت ذليلة لمن تحب، وأمةً لحبيبها إلا أنها سعيدة بذلك، وحصل كل هذا لتفوز بقبول المحبوب ونيل رضاه، فالمحبة ذليلة والمعشوق لا يرحم، ومن هنا نشأ عند الشاعرة العربية في الأندلس ما يسمى بـ"الحب المعذب".

وبعد هذا العرض العام لنصوص من الغزل العفيف عند شاعرات الأندلس، نستطيع القول مطمئنين أنهن قد عرفن كثيراً من معاني الغزل العذري (الذي يصف فيه الشاعر الحب الجامح، الذي يستأثر بنفسه وأهوائها وحسها وشعورها، والذي لايعرف إثماً ولا زوراً، وإنما يعرف الطهر والنقاء)[63]، فيصور (خلجات إنسانية رقيقة وشفافة)[64].

(الهوامش)

(1) كريم، واقدة يوسف: شعر المرأة الأندلسية من الفتح إلى نهاية عهد الموحدين (635-92هـ) جمع دراسة تحقيق، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، جامعة تكريت ، 2003م، ص: 11.

(2) الريسوني، محمد منتصر: الشعر النسوي في الأندلس، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت، لبنان، 1978م، ص: 23 – 24.

(3) هدارة، محمد مصطفى: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، دار المعارف، 1963م، ص: 500.

(4) محمود، د. نافع: اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد، ط1/ 1990م، ص: 194.

(5) إسماعيل، د. عناد غزوان: المرثاة الغزلية في الشعر العربي، مطبعة الزهراء – بغداد، ط1/ 1974م، ص: 1.

(6) ابن حزم، الإمام الفقيه أبو محمد الأندلسي: طوق الحمامة في الألفة والإلاف، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت، ص: 43.

(7) اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري، ص: 194.

(8) لودفيغ، اميل: الحياة والحب، ترجمة: عادل زعيتر، دار المعارف – مصر، 1959م، ص: 76.

(9) الماجدي، خالد عبد الكاظم عذاري: المرأة في الشعر الأندلسي في عهدي المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة البصرة، 2001م، ص: 37.

(10) بكار، يوسف حسين: اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، دار المعارف بمصر، 1971م، ص: 266.

(11) اتجاهات الشعر العربي القرن الثاني الهجري، ص: 503.

(12) السعيد، محمد مجيد: الشعر في ظل بني عباد، مطبعة النعمان – النجف الأشرف، ط1/ 1972م، ص: 143.

(13) خليفة، د. يوسف: الحب المثالي عند العرب، دار المعارف بمصر، 1961م، ص: 48.

(14) أبو الخشب، إبراهيم علي: تاريخ الأدب العربي في الأندلس، دار الفكر العربي، ط1/ 1966م، ص: 240.

(15) الأصبهاني، أبو الفرج علي بن حسين (ت 356هـ): الأغاني، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، د. عبد العزيز مطر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر – بيروت، لبنان، 1963م: 126/24.

(16) الشكعة د. مصطفى: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، دار العلم للملايين – بيروت، ط4/ 1979م، ص: 120.

(17) المقري، أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت 1041هـ): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة – مصر، ط1، 1949، 138/4.

(18) الشعر النسوي في الأندلس، ص: 94.

(19) الأندلسي، ابن سعيد (ت 385هـ): المغرب في حلي المغرب، تحقيق : د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، القاهرة ، 1964م، 38/2.

(20) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، ص: 148.

(21) المغرب في حلي المغرب، 202/2.

(22) الحموي، ياقوت (ت 626هـ): معجم الأدباء، دار المستشرق – بيروت، لبنان ، (د.ت): 222/10.

(23) الشعر النسوي في الأندلس، ص: 125.

(24) المغرب في حلي المغرب، 139/2.

(25) ضيف شوقي: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات، دار المعارف بمصر، 1994م، ص: 290.

(26) معجم الأدباء، 227/10.

(27) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، ص: 137.

(28) المغرب في حلي المغرب، 38/2.

(29) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، ص: 137.

(30) نفس المرجع، ص: 154.

(31) الشعر النسوي في الأندلس، ص: 112.

(32) معجم الأدباء، 227/10 ، والمغرب في حلي المغرب، 145/2.

(33) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 127/4.

(34) ابن دحية، ذو النسبين أبو الخطاب بن عمر بن حسن: المطرب من أشعار أهل المغرب، د. حامد عبد المجيد، دار العلم للجميع للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت، لبنان، المطبعة الميرية، ص: 6.

(35) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، ص: 131-132.

(36) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 28/6.

(37) عناني، محمد زكريا: الموشحات الأندلسية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب – الكويت، 1980م، ص: 134.

(38) بحث مستل من مجلة جامعة بابل ، المجلد/ 7 ، العدد 1 ، 2002م : 298.

(39) فروخ، عمر: تاريخ الأدب العربي في المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامي إلى آخر عصر ملوك الطوائف، دار العلم للملايين – بيروت، ط3/ 1978، 701/4.

(40) الشنتريني، أبو الحسن علي بن بسام (ت 542هـ): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة – بيروت، لبنان، 1979، 431/1.

(41) اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، ص: 111.

(42) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، ص: 513.

(43) العاني، إنقاذ عطا الله محسن: اتجاهات شعر الغزل في عهد الطوائف، رسالة ماجستير، كلية الآداب – جامعة بغداد، 1986م، ص: 157.

(44) شلبي، د. سعد إسماعيل: دراسات أدبية في الشعر الأندلسي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، 1973م، ص: 128.

(45) ضيف، د. شوقي: في النقد الأدبي، دار المعارف بمصر، ط5/ 1962م، ص: 94-95.

(46) دراسات أدبية في الشعر الأندلسي، ص: 122.

(47) الفلاحي، إقبال حسين عاصي: شعر ابن الزقاق البلنسي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، 2002م، ص: 9.

(48) الشعر النسوي في الأندلس، ص: 97.

(49) المغرب في حلي المغرب، 203/2.

(50) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 146/2-147.

(51) الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، ص: 180.

(52) المصدر نفسه، ص: 179.

(53) معجم الأدباء، 225/10.

(54) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، 431/1.

(55) الشعر في عهد المرابطين والموحدين، ص: 179.

(56) المطرب في أشعار أهل المغرب، ص:10.

(57) الشعر النسوي في الأندلس، ص: 92.

(58) القضاعي، ابن الأبار أبو عبد الله محمد بن عبد الأندلسي (ت 658هـ): المقتضب من تحفة القادم، المطبعة الأميرية بالقاهرة، 1957م، ص: 165.

(59) الحوفي، أحمد محمد: الغزل في العصر الجاهلي، مكتبة نهضة مصر، ط2/ 1961م، ص: 199.

(60) الشعر النسوي في الأندلس، ص: 76.

(61) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، 430/1.

(62) دعبيس، د. سعد: الغزل في الشعر العربي الحديث في مصر، دار النهضة العربية – القاهرة، ط2/ 1979م، ص: 43.

(63) ضيف، د. شوقي: فصول في الشعر ونقده، دار المعارف بمصر، 1971م، ص: 152.

(64) العاني، إنقاذ عطا الله محسن: ملامح السرد القصصي في الشعر الأندلسي دراسة نقدية، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1990م، ص: 54.